النهار الزيار ١٤/١١/٩٩

كتاب

رحلة في خفايا الذات الإنسانية

رواية تكشف أبعاد تقنية إعرف نفسك ومغامرة لتحرير اللاوعي

اعتدنا ان نترقب في كل عام كتاباً او اكثر تقدمه لنا سلسلة علوم الايزوتيريك (منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء) لما تثيره فينا من حركة داخلية هي مزيج من اغناء كينونتنا الانسانية، وصقل رهافتنا المشاعرية واستنهاض الابعاد الفكرية، اضافة الى كشف الجديد.

اما كتاب العام ٩٩، (رحلة في خفايا الذات الانسانية) فهو يشد القارىء الى مغامرة ذاتية تبعده عما حوله... الى حد يحس فيه ان الكتاب هو من يقرأه.. ليرشده الى عالم دواخله بلياقة ولباقة، مسلطا الضوء على صفاته الانسانية والبشرية، فيرى القارىء نفسه كم هو كبير بما يكمن في ذاته من طاقات هاجعة.. توشيها الحسنات والاخطاء كما تظهر في تصرفاته. انما الكتاب يجعل القارىء يرى نفسه بعين الخير والمحبة والطموح الى الافضل، فيمسكه شعلة الادراك ليوجهها بنفسه نحو ظلام اللاوعي، فيتبدد الضباب شيئا فشيئا فاسحا المجال امام اشراق فجر وعي جديد.. نقرأ تفاصيل كل ذلك ونحن نتفرج على ما يتفاعل في انفسنا، فنتحقق ان ظلام النفس ما هو الا غياب النور وليس شيئا قائما بذاته.

يستحث (الرحالة) بطل الكتاب الفكر فينا حين يقول «كنت ابحث في كل كتاب وقع نظري عليه، ولم ابحث مرة في ذاتي.. هذا المجلد الاضخم الذي دونت فيه اسرار الخلق وقصة الخليقة وناموس الوجود ومسيرة الحياة وانظمة الوعي والتطور.. تلك المخطوطة المقدسة تسكن هاتفة في كل انسان، لكنه لا ينقب في اعماقه ليكتشف سيرة خلقه كما حفرتها الحقيقة باحرف من نور على رقائق الذات، لتبقى امثولة خلود في المعرفة الانسانية الاصيلة على مدى الازمان!

ادهشنا كتاب د. جوزيف مجدلاني (ج ب م) ليس بكشوفات الاسرار وحسب، ولا بحكيم القول وعمق الرؤيا والغوص في دقيق المواضيع الحياتية وتنظيم معالجتها.. فهذه من صفات الايزوتيريك.. بل ادهشنا لان الرحلة هي التي سحبتنا معها واحسستنا اننا نحن من نقوم بها ونتفاعل معها صعدا في ذواتنا بمعاناة التلذذ والافتخار. هي رحلة محورية فريدة، رحلة وعي، بطلها هدفها ومنتهاها هو الانسان نفسه، كل انسان.

حقا لقد كشف هذا الكتاب ـ الرواية بصيغة المتكلم، ما لم يكشفه السبعة والعشرون كتابا قبله.. والى جانب بساطة وسلاسة اسلوبه، ورقة وشفافية عمق مضمونه، يقدم لنا مسار تعلم مكثف ومبسط وعملاني. فيه من «عمق الفكر اسلوب وعي... ومن المنطق طريقة حياة.. وفيه من العواطف التزام بالحب الى حد التقديس، الى حد تفعيل الفكر بالمنطق، وتضميخ القلب بالحكمة.

رحلة مضيئة بانوار الوعي تحملنا في مركبة الارادة، بوقود الثقة والايمان، والحكمة هي الربان. بهذه الدقة التصويرية يسلّط الكتاب الضوء على ابعاد الوعي الكامنة في فضاء الانسان والوجود.. ويعلم كل منا كيف يجهز مركبة ذاته للانطلاق، دون ان ينسى «زوادة» المحبة.

يقول الكتاب «مواجهة النفس اشد فاعلية واصدق هدفا من مواجهة الاخرين، ومحاربة الصفات السلبية في النفس مباشرة، لهي اقوى تاثيرا من محاربتها من خلال الاخرين. بالارادة فقط تستطيع ان تتغلب على نفسك وتحقق المطلوب. لان ترويض النفس وازالة صفات واكتساب اخرى يستحيل ان يتم الا من خلال الارادة، فهي العمود الفقري لمنهج السيادة على النفس وتحقيق الذات، والانسان الذي يفتقر الى قوة الارادة يصبح العوبة في يد الزمن، وفي يد المصير والحياة، وحتى في الشؤون العملية الاعتيادية. الانسان الذي يفتقر الى ارادة القرار، يفتقد عنصر الالوهة فيه، عنصر الاكتمال بوعيه.

وباستدراك الفكر الثاقب، يتابع الكتاب «حذار، الارادة قوة خطرة ومدمرة ان لم تروض بالمحبة.. وبقوة المحبة يستطيع المرء اكتساب الحكمة، والحكمة هي ميزة الالوهة في الانسان».

والمحبة، ذلك العطاء الروحي، لا يتركها الكتاب في علياء روحانيتها، فهي في صلب الحياة ولولاها لما وجد الانسان.. فهي ما «تفعل الفكر بالوعي، وتفعل القلب بالحكمة».. فيرى المرء نفسه منطلقا في افاق لم تدر بخلده قط.. متوغلا في تلك الرحلة الداخلية ـ الخارجية في آن، ولسان حاله يصادق على ما يقرأه «ان المحبة هي نقطة الانطلاق من ازدواجية النفس الى وحدتها.. اما الارادة فهي المحرك. فيما حكمة المحبة، او الحكمة في المحبة (الواعية) هي التي تطلق الارادة وتدفعها في الاتجاه الصحيح لتحقيق اعظم المنجزات.. وحتى ما يعتبره الناس معجزات».

«رحلة في خفايا الذات الانسانية» تتوسع في تقنية اعرف نفسك التي لا يبدو ان احدا شرحها بتفاصيل دقيقة ومنهج علمي عملي واضح ومنطق متجانس يربط الباطن بالظاهر، يربط الافكار والمفاهيم النظرية بالواقع العملاني المعاش.. تتثبت من صحته بنفسك وانت تمارس اعمالك اليومية ومشاغلك الاعتيادية، وحتى شؤونك الخاصة.. فترى فارقا كبيرا بين ما كنت عليه وما صرت اليه.. وانت تواجه نفسك وتكتشف الاخطاء التي لم تكن تدري بها او باسبابها قبلا.

وكانما الفكر المجرب، الفكر الذي اختبر الحقائق بالممارسة، سئم من نظريات الفلسفات وعالم القياس المنطقي الذي تنقصه الواقعية، فقرب المضمون الى الحياة المعاشة بصور معبرة وبمعادلات كلامية بليغة – كالمعادلات الهندسية برسمها البياني الدقيق – ووضعها كوصفات وعي في متناول كل فرد ليتحقق من النتائج بنفسه. وصفات فيها من الفكر بصيص، ومن المشاعر وميض يجعلك تحس احيانا انك تقرأ بمشاعرك، فتتفاعل معها وتنجرف وتنسى ما عداها. الا ان يقظة الوعي تاتي كصوت الرقيب مذكرا «الفكر سيقوي الارادة لكنه قد يضعف المحبة ان توانيت عن تشغيلها.. واذا ما شعرت مرة ان المحبة قد ضعفت او هزمت امام الفكر، ابحث عن الحكمة في الحال. فالحكمة تنشط المحبة والفكر وتقويهما في الوقت نفسه، وتاتي الارادة لتتوجهما بالتطبيق العملي».

والايمان في الكتاب ليس محصورا في النواحي الروحية، بل يتمدد الى فعل ثقة في خضم العمل والحياة. هو ايمان الشخص العارف والواعي والمبصر، ايمان من يعرف اين يضع قدمه والى اين ستوصله. لانه واثق كل الثقة من قانون السبب والنتيجة. هو ايمان من يزرع بذرة في التربة وملؤه الثقة انها ستنبت يوما ما مهما طال انتظاره.. ايمان من يتقدم بثقة نحو هدف معين بظلله اليقين انه سيصل مهما طالت المسافات واستغرق المسير».

اما عن الوعي فياخذنا الكتاب الى «باكورة البواكير».. ويشرحه بالحقيقة المجردة المضمخة بالايمان العميق: «انطلق الانسان من نسيم الخالق ليصبح الحاكم ليجسد الوعي الالهي. فالوعي يجب ان يجسد ليفهم. اما الانسان لا يستطيع ان يرى نفسه الا اذا نظر في المرآة. كذلك الوعي لا يمكن ان يدرك الا اذا تجسد. والانسان هو جسد الوعي الالهي».

ولان «الوعي هو علة الخالق، والتطور في الوعي على كل صعيد هو هدف الانسان الاول والاخير، ارادياً منه او لاشعورياً، فالكتاب محوره الوعي، واكتشاف المجاهل بواسطة الوعي، والقاء الضوء على اللاوعي.. كل ذلك واكثر بغاية توسيع مدار المدارك في كل الشؤون الحياتية والعملية بدون استثناء. يفسر الايزوتيريك الوعي ويبسط كيفية اكتسابه في كل كتاب من كتبه تقريباً، وبطريقة حياتيه ذات ابعاد تختلف عن الاخرى. ففي كتاب «مناجاة القلب والوعي» يقول: «الوعي هو المقدرة على الاحتواء، على استيعاب الخبرات الذاتية، نفسية كانت او عقلية او الى اي مجال آخر انتمت. وظيفة العقل اكتساب المعارف والمعلومات. اما الوعي فيكتسب بتحويل تلك المعارف والمعلومات الى خبرات وتجارب. لا يكتسب الوعي الا من خلال التطبيق العملي الحياتي لكل معرفة ومعلومة.. الامر الذي يقلص مساحة اللاوعي في الكيان، تدريجاً».

وفي كتاب «عاد ليخبر» يشرح الايزوتيريك في مختبر الذات عملية ـ تقنية اكتساب الوعي تصويرياً: «تاخذ المعلومات الجديدة عبر كلمات، فتتحول تلك الكلمات فهماً في ذهنك.. ثم تدخل معترك الحياة، فيتحول هذا الفهم تطبيقاً عملياً يمكنك لمسه واختباره واقعياً.. واخيراً يتحول هذا التطبيق وعياً. لان التطبيق يولد الخبرة، والخبرة تولد الوعي. بذلك يكون الوعي حصيلة اكتساب المعلومات، ليس لان المعلومات شيء يختلف عن الوعي، ليس لان المعلومات تلاشت ليظهر مكانها الوعي، بل لان المعلومات قد تحولت وعياً! والدليل ان المعلومات ما زالت موجودة في ذاكرتك.. والفهم ما زال قائماً في عقلك.. والخبرة ما زالت ناضجة في كينونتك، بعد ان عشتها في مختبر الحياة اليومية!

اما العامل (الجديد) الذي اضيف فهو الوعي! ليس لان الوعي قد وجد من لا شيء، بل لانه كان كامناً هاجعاً في المعلومات، وقد اظهره التطبيق العملي، بل ايقظه من غفلته. فكان ان ظهر هذا العامل (الجديد) في كيانك.

فالفراشة ليست كائناً مختلفاً عن الدودة التي اعتزلت في شرنقتها.. بل ان الفراشة هي نفسها الدودة بعد ان تحولت! هذا هو المفتاح او كلمة السر: «التحول»! والتحول ميثاق الوعي في الايزوتيريك.

على صعيد آخر، الوعي فعل اختبار لا يكتسبه المرء الا من خلال احتكاكه مع الناس مباشرة.. وبواسطة الوعي يستطيع المرء التوصل الى الحكمة.. والمحبة متى مورست بوعي، استحالت حكمة. بل لا ترتقي المحبة وتشف دون ان تصقل بالحكمة. اما الحكمة فهي عمل قائم على قاعدة التقاء المنطق بالمحبة، اي هو يرضي المنطق السليم والمحبة السامية في آن واحد، ويستدل على مقدار تفتح تلك الحكمة في الذات، بمدى الافادة التي تقدم من خلال تنفيذ ذلك العمل. فالحكمة والمحبة رفيقان متلازمان على درب المعرفة الذاتية، يقربهما الى بعضهما رابط دقيق هو الوعي. (مقتطفات من «رحلة في خفايا الذات الانسانية») ولا ننسى ان بواسطة الوعي اكتشف بطل الكتاب عوالم من الحقيقة التي لم تخطر في بال الاحلام حتى!!!

فهل حقاً قانون الوعي صارم؟ «.. فان لم استوعب امثولة ما، اخضع لتجربة قاسية حيث تطبق فيها تلك الامثولة، لاتشرب بادراكها. بذلك تحفر وعياً وخبرة في ذاتي».

ولان الوعي هو صلب الانسان في مفهوم الايزوتيريك، دائماً في حركة مد وجزر، بين ارتشاح داخلي وامتصاص خارجي.. اخال الانسان بصفاته وخصائصه ـ ادوات وعيه ـ ميزاناً غريباً عجيباً.. ميزاناً دقيق الاوزان ومتعدد الكفات.. كل كفة فيه تحوي صفة من صفات وعيه. فهناك الارادة، وعلى جانبيها كفتي الثقة والايمان، وفي الجهة المقابلة كفة المحبة بجانب كفة العطاء.. وعلى الجوانب الاخرى نرى كفة قانون الاعمال، وكفتي الفكر البشري والفكر الانساني، وحول الجميع تتوزع كفات المقارنة والتمييز، النظام والتنظيم، المادة واللامادة، الازدواجية والوحدة.

اتصور الوعي يرفع هذا الميزان.. والحكمة تعمل على التعادل بين الكفات جميعها، تعمل تطبيقاً عملياً. ولا تكف الحكمة عن العمل. فالوزنات دقيقة دقيقة، والتوازن فيما بينها ادق.. والكفات تارة تكاد تتساوى وتارات اخرى تتارجح بفعل ثقل بعضها وخفة البعض الآخر، بالمقارنة.. فتاخذ الحكمة من هذه لتضيف الى تلك، او تزيد الى واحدة على حساب الاخرى. وهكذا تستمر مهمة الحكمة، وفق قانون التطور الحتمي في استمرارية الحياة، الى ان يتم التعادل التام بين الوزنات، بين الصفات جميعها في النهاية، فترتقي الحكمة ويتطور الوعي ويتسامى في عوالم الحقيقة التي تعصى على الخيال!

اتوقف وانا اقرأ واتساءل:

اهذا هو الانسان المتفوق الذي «بحثه» نيتشه ولم يستطع ان يحييه؟ ام هو نبي جبران وقد انهى مهمته الارضية؟.. ام هو «مزداد» [illegible]

فهل [illegible] انسان عادي «تعلم في مدرسة الارادة، تثقف بالوعي، ترفرق بالمحبة، ونما بالحكمة؟»

وهل يسعنا غير ان نقول ان العبقرية تقنية ايزوتيريكية؟!

حقاً، ان «رحلة في خفايا الذات الانسانية» هي طريقة حياة، «تتضمن من الفكر ارادة، ومن الارادة محبة، ومن المحبة حكمة» وتجمع، بمنتهى الشاعرية، المنطق المادي العالمي الى المنطق الانساني السامي، وتشرح، من جملة ما تشرح، عن «النظام السباعي في تكوين الانسان.. وعن النظام الرباعي والثلاثي والثنائي.. ففي الانسان سبعة اجهزة وعي موزعة بين القسم المادي والقسم البشري والقسم الانساني والقسم الروحي ـ الالهي. فيه كل شيء في الكون، وفيه من كل شيء على الارض. لانه العالم الصغير ـ الكبير. في كيانه تنطوي اسرار الارقام ورموزها: سر الكمال في الرقم تسعة.. سر الاكتمال في الرقم سبعة.. سر الوجود في الرقم ثلاثة.. سر الانطلاق في الرقم واحد.. وسر الخلق في الصفر! لكن الانسان بوجه عام، لا يبدو انه يدري شيئاً من اسرار كيانه، ولا حتى معنى بعض الاعضاء في داخله، والتي تفسر اصله الاولي.. وتفسر الغاز الخلق وغوامض الحياة في تسلسل تاريخي تطوري يؤكد ان الانسان مخلوق خاص».

يجعلك الكتاب تفكر اكثر مما تقرأ.. وتستنتج بالعقل والقلب معاً.. فلنفسح المجال للتامل في مضمونه استعداداً للاستمتاع بانفسنا في رحلة حقائق هذا الكتاب.

(باريس، اول تشرين الثاني ١٩٩٩).

د. اميمة مراد لوكور